الفصل الثاني
بوابة لدخول (إسرائيل)، أو الخروج منها

حينما تحط الطائرة في مطار بن جوريون، وتفتح أبوابها، ليخرج منها المهاجرون الجدد، يكون هناك على الجانب الفكري الآخر، يهود يرفضون الذهاب إلى (إسرائيل)، ولا يعترفون بها. فهناك يهود أورثوذكس متشددون، يؤمنون بأن (إسرائيل) هي (أرض الميعاد)، لكنهم لن يعودوا إليها إلا عندما يظهر الماشيح المخلِّص[*]، ليجمع شعبه اليهودي، ويأخذهم إلى (أرض الميعاد)، حيث يحكمون العالم وبهذا يعتبرون الهجرة، الآن، تدخل من البشر في الإرادة الإلهاية، وهم ينتظرون أن يدخلوا (إسرائيل) على يد الماشيح المخلص.

أما الطائفة الأخرى اليهودية التي ترفض الهجرة إلى (إسرائيل)، هي طائفة العلمانيين، والذين يرون بأن الدين لا يُعتبر أساسًا لقيام دولة، وأن اليهود لا يجب أن يقيموا دولة، وحدهم، على أساس ديني، وعليهم أن يبقوا جزءًا من مجتمعاتهم الأصلية يتعرضون مع باقي شعبه للحياة المريحة، أو الاضطهاد أحيانًا[1].

كما يظل بعض اليهود في بلادهم لإرتباطهم بها ولإستقرار حياتهم فيها، لكن على الرغم من ذلك يهاجر إليها الكثير من اليهود محققين الهجرة اليهودية الواجبة

(*) (الماشيح) مصطلح عبري يعني المسيح المخلص اليهودى. بحيث يؤمن اليهود بأن الماشيح سيظهر فى نهاية الزمن، ليملأ الدنيا عدلاً، بعد أن امتلأت ظلمًا، وسيؤسس مملكة صهيون في فلسطين، ويبطش بأعداء اليهود، ويناصر اليهود، و يجعلهم يحكمون العالم.

(١) رؤية دكتور عبد الوهاب المسيري، موسوعة «اليهود واليهودية والصهيونية؛ نموذج تفسيري جديد»، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٩.

openkanal.com

على كل يهودي alyah .

وعن ذلك اليهودي الخاضع لقواعد الهجرة، يقول شموئيل نيومان، في الموقع الإلكتروني «أسبوع اليهود»:

«يحلم اليهود جميعًا بالاتحاد، من جديد، ويظن بعضهم أنهم سيصبحون في مدينة فاضلة، توحدهم، سياسيًا، واجتماعيًا، ودينيًا، فيحلمون بالأمان، لكن الأحلام لا تصنع الواقع، وأحيانا عندما تتحقق أحلامك، تتحول إلى كوابيس، مثل قصة الجني، الذي كان محبوسًا، في الزجاجة. وخرج منها، ليحقق أحلامك، لكنك لم تستطيع أن تحبسه فيها، من جديد. فإسرائيل ذلك المجتمع المتفسخ الحاوي للإنشقاقات الدينية، والمختلف بشكل تراجيدي عن تصور اليهود لها».

«وعندما تحدث النبي؛ موسى، عن عودة كل اليهود إلى إسرائيل عنى بذلك كل اليهود وليس نوعًا معين منهم، أي كل المولود من أم يهودية بمن فيهم المتحولون من اليهودية، وبهذا نكتشف أن أغلب البشر يهود. فبسبب غزو الإمبراطورية الرومانية لبابليون وأسْرَهم للنساء اليهوديات، يمكننا -وبدون شك- اعتبار أغلب الإيطاليين واليونان والفرس يهودًا. كما أنه هناك المورانوس Moranos، وهم اليهود المجبرون على التحول للمسيحية، وهؤلاء يجب أن يُعدوا، إلى الآن، يهودًا».

«كما نجد النبي محمد غزا المجتمعات اليهودية، وضم نساءها إلى حريمه، مما يثبت أن سلالة محمد يهود، ولا يهم أن يكونوا حتى مسلمين متطرفين لأنهم، في النهاية، يهود وبالتالي فهم مواطنون إسرائيليون وفقًا لقانون العودة...حتى حركة (القاعدة) الإسلامية، فأغلب أصول أفرادها يهود. أما حركة (طالبان) فأصلهم من الباشتو، وهم إسرائيليون، وبالنسبة للعراق، وإيران، فالعديد من العنصريين بها

انحدروا من يهود خلال فترة منفى بابليون»(*).

يكمل شموئيل نيومان كلامه، قائلاً: «ويُقَدَّر أن ثلاثة أرباع سكان غرب أفريقيا من اليهود، حيث كان قد هاجر اليهود إلى هناك بعد تدمير الهيكل الثاني»...والفلسطينيون هم أكثر نموذج يثبت أصله اليهودي، بدون أن يدركوا، والدليل أن لدى المُهجّرين منهم الرغبة والحاجة الماسة للعودة إلى إسرائيل، وذلك يثبت أنهم يهود، لرغبتهم كاليهود للعودة إلى هذه الأرض، لأن هذه الرغبة تسجل في جيناتهم، وبهذا يكون الحل لأزمة الشرق الأوسط عدم تقسيم الأرض بين العرب واليهود، إنما البحث عن العرب، الذين تتأكد يهوديتهم، وإعطائهم الأرض!

«سيتم الاختبار الجيني للجميع، لمعرفة أصولهم، حيث أن المتزوجين من غير يهود، تختفي أصولهم، بعد أربعة أجيال، وأيضًا، يجب اكتشاف جينات اليهود الخاصة بهم، فليس كل من ولد من سلالة إبراهيم يهودي، ولا كل من كان من سلالة إسحق يهودي، لكن كل من ولد من سلالة يعقوب يهودي، ويمكننا أخذ جين من يعقوب، ومن أحد أبنائه الأثنى عشر، حيث نعلم أين دفنوا، وتحليلها

(*) يري الكاتب اليهودي أن الأمهات، التي أنجبت أكثرية البشر، يهوديات، وتنبع هذه الرؤية من المنطق اليهودي، الذي يستخدم ثغرات التاريخ لإثبات غاياته، بالمنطق نفسه الذي يبررون به أن فلسطين تنتمي لليهود، باعتبار أنها كانت تخصهم في العصور القديمة، منحيين فكرة أن خرائط العالم تتغير كل عدة سنوات، فتسقط إمبراطوريات وتزول حضارات. وإذا سرنا وراء تلك الرؤية ليس علينا إلا انتظار ظهور ورثة الحضارات اليونانية، والرومانية، والآشورية، والفارسية، وغيرهم ليعيدوا سطوتهم على مجد العالم، لأنه أنتمى لهم يومًا ما!. تطبيقًا للمنطق نفسه على فكرة أن أمهات البشرية يهوديات، فإنه لا يمكننا اعتبار اليهود الذين دخلوا في المسيحية والإسلام يهودًا لمجرد أن أجدادهم كانوا يومًا يهودًا، وإلا على الصابئين وعبدة الأوثان أن يرفعوا أصواتهم بأنهم أنجبوا عباقرة العالم، وأن حضارة اليوم تنتمي إليهم! (المؤلفة).

obeikandi.com

جينيًا، من خلال الجين الذي انتقل عبر الأم من يعقوب إلى أبنائه».

«في وقت ما سينهي الله تلك العصور المظلمة -التي يرفض التجلي فيها- فيتحول العالم كله إلى عبادة رب اليهود، وفي تلك الفترة سيرغب كل هؤلاء في أن يصبحوا يهودًا، لكن ساعتها لن يُقبَل تحولهم إلى اليهودية، حيث سيكون قد اكتشف كل أصله»(*).

يتم اكتشاف الجينات اليهودية في الكيان الصهيوني عبر تحليل «الدي أن إيه»، والذي ينقسم إلى نوعين، الأول للذكور، يتم خلاله اختبار الذكور لمعرفة هل يوجد لديهم Y-DNA، وهو الجين الذي يرثه الرجل فحسب عن أبيه، وبالتالي ليس لدى المرأة التي إن أرادت عمل هذا الاختبر، عليها أن تجريه على أحد أقاربها من الدرجة الأولى، أخ أو أب، لتتأكد من انتمائها اليهودي، ويتكلف الاختبار ١٤٩ دولارًا. أما الاختبار الثاني، والذي يخضع له الرجل والمرأة، لأنه يختبر وجود mtDNA، وهو الجين الذي يرثه الذكور والإناث عن أمهم اليهودية، ويتكلف ١٢٩ دولارًا. وبعد تلك التحاليل، تتم مطابقة نتيجتها بقاعدة البيانات المتوافرة، ومن يثبت أصله اليهودي، يصبح له الحق في أن يكون مواطنًا إسرائيليًا، فتُفتح له أبواب الهجرة إلى (إسرائيل).

هناك جمعيات ومؤسسات مسؤولة عن تهجير اليهود إلى (إسرائيل)، وتمكينهم من حياة جيدة. يسيطر على ذلك النشاط مؤسستان؛ «نفيش بي نفيش NBN»، التي تجلب

(*) يرى الكاتب اليهودي أن الفلسطينيين أكثر نمودج يثبت أصله اليهودي، وأن الدليل يكمن في رغبتهم في العودة إلى ما يسمى (أرض إسرائيل). وهذا مبرر سخيف وخاطئ، لأن الفلسطينيين لا يحنّون إلى تلك الأرض إلا بوصفها فلسطين التي أخرجهم الإستعمار الإسرائيلي منها، بينما اليهود يدَّعون أنهم يشعرون بالحنين نفسه إلى تلك الأرض رغم أنهم لم يعيشوا عمرهم فيها، إنما هبطوا عليها بالمنطاد!. وبهذا يسقط مبرر أن الفلسطينيين والإسرائيليين يشعرون بالرغبة نفسها في تلك الأرض، فالفرق كبير بين من يحب بلد نشأ وتربى فيها، وبين من يهرع إليها ليحصل على راتب أعلى بكثير مما يحصل عليه في بلده الأصلي مدعيًا أن تلك الرغبة المسجلة في جيناته تدفعه دفعًا لتلبية الوعد الإلهي! (المؤلفة).

obeikandl.com

المهاجرين من شمال أمريكا وبريطانيا، ومؤسسة «أيه أم أي AMI»، التي تعمل في فرنسا. وتعمل هاتان المؤسستان برعاية «الوكالة اليهودية JA»، حيث تحصلان على الدعم الحكومي لأنشطتهم عبرها، فتعطي الوكالة لهم ١٠٠٠ دولار، عن كل مهاجر، الأمر الذي توقف في منتصف ٢٠٠٧، حين سعت المؤسستان للانفصال عن «الوكالة اليهودية»، وإنهاء احتكارها للهجرة إلى (إسرائيل).

بدأت مظاهر الانفصال باختفاء شعار «الوكالة اليهودية» من على إعلانات مؤسسة نفيش بنيفيش، منذ يونيو ٢٠٠٧. وأعلنت الوكالة أن هناك خلافًا في الرأي، وبهذا على المؤسستين التعاون مع وكالة أخرى، لفتح ملف رسمي لهما، وفي تلك الفترة، تم إضافة المصاريف التي كان يدفعها الدعم على المهاجرين أنفسهم، إلى أن صدر قرار مجلس الوزراء، في سبتمبر ٢٠٠٧، يقضي بحصول المؤسستان على الدعم مباشرة.

لتحاول مؤسسة «نفيش بينفيش Nefesh B'Nefesh» استعادة نشاطها، وهي التي نجحت في جذب ١٠,٠٠٠ يهوديًّا إلى (إسرائيل)، منذ عام ٢٠٠١، ويقال إن ٩٩٪ منهم يبقون بالمدينة. وتقوم المؤسسة بمراسلة اليهود، عبر الإنترنت، وإرسال رسائل إليكترونية تغريهم بالذهاب إلى (إسرائيل).

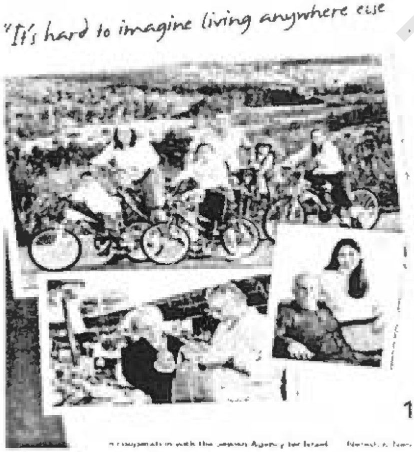

نموذج لإعلانات وكالة نفيش بينفيش لتهجير اليهود لإسرائيل

ثمة، أيضًا، كوادر بارزة، تعمل في مجال التهجير، مثل السفير الإسرائيلي في واشنطن؛ دانيال أيالون، الذي عاد، في يناير ٢٠٠٧، لممارسة عمله في (إسرائيل)، بعد أربع سنوات من تمثيله بلاده في الولايات المتحدة

obeikandl.com

الأمريكية، حتى يتفرغ للعمل كمستشار لجماعة تتبني الهجرة من شمال أميركا، مما يدعم ما وعد به رئيس الوزراء الإسرائيلي، آنذاك، آرييل شارون بأن يجلب مليون يهودي إلى (إسرائيل)، بحلول عام ٢٠٢٠. ويأمل أيالون بأن يستطيع، رغم تباطؤ حركة الهجرة من روسيا، اجتذاب يهود فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية للهجرة إلى (إسرائيل). وهو ما تعمل لأجله الحكومة الإسرائيلية، فحاولت «الوكالة اليهودية» جذب اليهود، بتوفير رحلات مجانية إلى الكيان الصهيوني لمدة ١٠ أيام، أو بعمل دعاية لصورة (إسر ئيل)، بنشر صور نسائها ورجالها الجذابين جنسيًا.

وصول مجموعة من المهاجرين في مطار بن جورين ٢٠٠٦

L AIRLINES
Nefesh

THIS IS
WHAT A
ZIONIST

Welcome to Isr

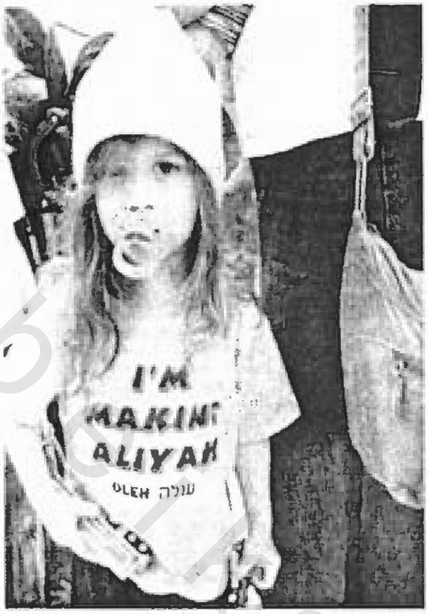

مهاجرو ٢٠٠٧ من الأطفال والكبار

فتيات جيش الدفاع مع أحد المهاجرين

أولمرت يرحب بمهاجري ٢٠٠٧

obeikandi.com

ينظم (قانون العودة) مسألة هجرة اليهود إلى (إسرائيل)، حيث يقر بأن هناك مكان في (إسرائيل)، وحق المواطنة لكل يهودي، طالما لم يكن شخصًا خطيرًا، ولم يتحول إلى أي ديانة أخرى. ويبدأون بعمل اختبارات لطالبي الإقامة في واحدة من الثمانمائة قرية الإسرائيلية -كما ذكرت صحيفة «يديعوت أحرنوت»- حيث تبدأ بمقابلات، تختبر طبيعة أفكار هؤلاء المتقدمين، ومستواهم التعليمي. وترفض اللجنة من البدء العرب والمثليين الجنسيين والآباء غير المتزوجين. ومن يتم قبوله يدخل في اختبارات جسدية وعقلية، كما يتم الإطلاع على صحيفته الجنائية.

تقول ف (٣٠عامًا)، وهي العربية، التي رفضوها هي وزوجها، على الرغم من اجتيازها تلك الاختبارات: «تقدمنا إلى اللجنة، وسألونا ما إذا كنا نعرف شيئًا عن (إعلان الاستقلال)(*)، وعما نفعل في الأعياد اليهودية، وماذا سأفعل لو وقع ابني في حب ابنة الجيران اليهودية. وأجبنا بأننا نحب أن نتعايش جميعًا معًا، وأننا نزور بعض أصدقائنا اليهود في (عيد الإستقلال)، ونبقى في المنزل يوم (عيد كيبور)(**) فلم يكن إلا أن قال أحدهم لنا: (أنا لا أريد لابنك العربي أن يتلصص على ابنتي، وهي في حمام السباحة)، وقال آخر: (أنكِ تعتقدين؛ أنكِ تعيشين في مدينة فاضلة)»!.

علق، أيضًا، أعضاء اللجنة بعبارات عنصرية ضدها، ثم عرضوها على طبيب نفسي، سألها عن علاقتها بهويتها العربية، وآمالها. وبعد ثمان ساعات من الاختبار،

(*) المقصور بـ(عيد الاستقلال) في الثقافة الإسرائيلية يوم تأسيس (إسرائيل)، وفقًا لادعاء الإسرائيليين بأن حرب ١٩٤٨ كانت حربهم للحصول على الاستقلال، وليست حرب لوضع اليد على الأرض الفلسطينية، بمنطق أن تلك الأرض أرضهم، ويستردونها! (المؤلفة).

(**) (يوم كيبور) هو أحد الأعياد اليهودية، وحصل على شهرته من كونه اليوم الذي شن المصريون فيه معركة أكتوبر ١٩٧٣.

obeikandl.com

وصل إلى زوجها خطاب الرفض، مكتوب عليه: «غير سوى اجتماعيًا»! مما أكد على ما قالوه لهم، أثناء المقابلة: «إننا لو قبلناكِ، فهذا معناه أن هناك يهوديًّا سيُحرم من فرصة مجيئه».

هذه الفرصة الضائعة يقول عنها د.أليكسندر كيدار، بجامعة حيفا: «إنهم لم يعدوا يرفضونك لأنك عربي، فهم يرسلونك إلى الطبيب النفسي، ثم يتحدثون: أنك غير سوي، ومضطرب اجتماعيًا، وهذا ليس للعرب، وحدهم، بل للآباء غير المتزوجين، من المطلقين والأرامل، وغير المتزوجين أساسًا، والمثليين الجنسيين، والمجرمين السابقين، وأي شخص بورجوازي».

الغريب أن الكيان الصهيوني يبدو وكأنه يُغلق ملفات اليهود خارج (إسرائيل)، بإغلاق مكتب رئيس الوزراء لقطاع قضايا الشتات عام ٢٠٠٧. وجاء هذا الغلق، بعد عام كامل كانت فيه وزارة الشتات بلا وزير، ليقوم بمهامها وزير الخارجية. وتتلخص مهام هذا القطاع -كما أوردت جريدة «هاآرتز»- في محاربة (أعداء السامية)(*)، والعمل على استعادة حق يهود الهولوكوست، وجلبهم إلى (إسرائيل) وحمايتهم، وجلب الشباب اليهودي لزيارة (إسرائيل). وكان قد أُسس هذا القطاع، منذ سبع سنوات، في عهد آرييل شارون، حيث تولاها، لأول مرة، ناتان شارانسكي Natan Sharansky (٢٠٠٣).

ربما ارتبط ذلك بانخفاض معدلات الهجرة -كما ذكرت «يديعوت»- لتصل درجة انخفاضها، عام ٢٠٠٦، إلى ٧,٣٠٠ مهاجر، وهو عدد مهاجري ما قبل عام ١٩٨٨ نفسه. ويذكر ان معدلات الهجرة كانت مرتفعة، خلال عام ٢٠٠٠، حيث كانت مليون مهاجر من الإتحاد السوفيتي السابق، وحده، ثم توالى العدد في

(*) أنظر «معاداة السامية» في الباب الأول؛ «المجتمع من الداخل»، فصل «الحياة الدينية».

النزول، حيث أصبح ٢٢,٦٥٧ مهاجر لعام ٢٠٠٥، وبهذا يشهد ٢٠٠٦ إنخفاضًا كبيرًا وصل لـ ٢٣٪ بعد أن كان متوقع أن يكون عدد المهاجرين ٢٤ ألف.

لكن ما هي أسباب ذلك الانخفاض، طرحت جريدة «يديعوت أحرونوت» السؤال، وأجابت عليه «الوكالة اليهودية»، التي أقرت بانخفاض نسبة المهاجرين إلى (إسرائيل)، خلال عام ٢٠٠٦: «لأنه أصبح من الصعب إغراء المهاجرين للخروج من بلادهم -خاصة الإتحاد السوفيتي- بعد أن أصبح لا شيء يخافون منه، أو يفرون بعيدًا عنه، كما أن الحرب اللبنانية أثرت كثيرًا و(إنتفاضة الأقصى) الفلسطينية، التي بدأت في خريف عام ٢٠٠٠، والحكومة الإسرائيلية نفسها لم تجلب اليهود من أثيوبيا، كما كان مخططًا».

بالإضافة إلى تلك الأسباب، ثمة حركات مضادة للهجرة، وهي حركات تضم اليهود المعادين، بشكل صريح، لهجرة اليهود إلى (إسرائيل)، وهي جماعات توجد في بريطانيا، والولايات المتحدة الأمريكية، وأستراليا. ويقول أحد أعضاء تلك الجماعات: «لقد أحبطتنا الأوهام الكبرى المنتشرة لدى يهود هذه البلاد [يقصد بريطانيا] فيما يعلنونه من تأييد للدولة الإسرائيلية».

كما أعرب نصف الشباب الأمريكي اليهودي عن قلقهم حيال فكرة قيام دولة يهودية، وذلك وفقًا لإحصائية قدمتها صحيفة «جيروسالم بوست»، في سبتمبر ٢٠٠٧، كما أعلن ٤٥٪ من طلبة المدارس الثانوية، الذين هاجرو إلى (إسرائيل) من الإتحاد السوفيتي، بأنهم لا يرون مستقبلاً لهم في (إسرائيل)، وفقًا لدراسة أجراها قطاع الآباء المهاجرين، في يونيو ٢٠٠٧. ورأى ٨٢٪ أن لا شيء تعلموه من الثقافة الإسرائيلية، وصرح ٧٦,١٪ بأن (إسرائيل) انتهكت حقوق المهاجرين غير اليهود، بشكل متكرر، في عديد من القضايا، مثل الزواج، والدفن.

في المواجهة، تقول إحدى الفتيات الأمريكيات المهاجرات حديثًا: «ليس كل الحياة نقود. فالمهم هو نوعية الحياة التي، وإن كانت رائعة في الولايات المتحدة الأمريكية، يجب أن نتجاوزها، حين نأتي إلى إسرائيل، لأننا، في النهاية، يهود».

هجرة أخرى، ذكرتها جريدة «يديعوت أحرونوت»، وهي محاولة الإسرائيليين ذوي الأصول العراقية والكردية، العودة إلى مسقط رأسهم في العراق، مما دفع قسم مكافحة الإرهاب بمركز الأمن القومي الإسرائيلي إلى نصح الإسرائيليين بعدم زيارة العراق، لكن لم يلتفت الكثير منهم للتحذيرات، وارتفع عدد الإسرائيليين الزائرين للعراق، خلال النصف الثاني من عام ٢٠٠٦، خاصة رجال الأعمال الإسرائيليين، الذين يذهبون، بشكل غير قانوني، للإستثمار في سوق المال العراقي.

أما بشأن الأماكن الأخرى الخطرة، التي منعت (لجنة مكافحة الإرهاب الإسرائيلية) الإسرائيليين من زيارتها، فقد ألغت اللجنة إنذارها، بشأن زيارة تركيا ومنطقة غوا في الهند، بسبب الاتجاه الشعبي للإسرائيليين للسياحة هناك، لكن يبقى إنذارها لزيارة سيناء قائمًا، لأن الكثيرين من الإسرائيليين أختُطفوا بها، وبالتالي نصحت تلك اللجنة زائري سيناء بتركها، فورًا.

◆◆◆

من يوجد في (إسرائيل)؟

في الكيان الصهيوني حوالي سبعة ملايين نسمة ليس كلهم من اليهود، بل ثمة عناصر أخرى، أبرزهم عرب ٤٨، الذين تشبثوا بمسقط رأسهم، فعدوا أقلية في وطنهم، بعد أن تحول إلى ما يسمى (الدولة الإسرائيلية)، وحصلوا على الجنسية الإسرائيلية، جغرافيًا، لكنهم رغم ذلك مواطنون من الدرجة الثانية في (إسرائيل)، لا يحصلون على المساواة مع اليهود. وظل الشك قائمًا فيهم من قِبَل الحكومة الإسرائيلية، على الرغم من إتاحة الفرصة للعرب للتصويت في انتخابات الكنيست.

عدم المساواة توجد، أيضًا، بين اليهود أنفسهم، الذين يتعرضون للعنصرية والاضطهاد، وفقًا للون البشرة، أبيض أو أسود، ووفقًا للأصل والعرق-يهودي سفارديم (شرقي) أم أشكينازي (غربي)- خاصة وقد أدت الهجرات إلى تزايد معدلات مواليد اليهود الشرقيين، وبالتالي ترجيح كفتهم العددية على اليهود الغربيين. لكن هذه الزيادة في التعداد لم تنعكس على تحسين أوضاعهم المتدنية في المجتمع، أو زيادة تمثيلهم السياسي.

يلاحظ بذلك أن اليهود الشرقيين كانوا، دائمًا، في قاع المجتمع، يعيشون في الأحياء الفقيرة، أو المدن البعيدة، أو المنازل الآيلة للسقوط، كما أن ٩٥٪ من المسجونين هم من اليهود الشرقيين، مما يعني تفشي الجريمة في أوساطهم، بسبب تردي أوضاعهم الاقتصادية، وشعورهم بالظلم الاجتماعي. ويلاحظ، أيضًا، ضآلة

opelkandl.com

عدد الطلبة السفارديم، الذين يصلون إلى الجامعة، بسبب ارتفاع مصاريف التعليم[1].
كما تتعرض جاليات أخرى للاضطهاد، مثل الروس، والأثيوبيين.

وعلى النقيض من معاناتهم هناك جنسيات مفضلة لدى الإسرائيليين، وهم الإيطاليين، حيث ذكرت جريدة «يديعوت أحرونوت»: «أنهم يشتركون في أشياء كثيرة، بسبب تشبّه الإسرائيليين بهم، الذي ظهر من خلال إقامتهم للكثير من (الكافيهات)، وبقاء الأولاد مع آبائهم في المنزل نفسه، بعد بلوغهم مع تخصيص حجرات لخليل ابنتهم، وكذلك يشتركون في الفساد في الألعاب الرياضية، والسياسة، والاقتصاد، كما أنهم يشتركون في أن الشرطة عاجزة، وأفراد العصابات يعيشون حياة محترمة تحتَ حماية القانون».

أكملت الصحيفة، ساخرة: «وأولئك هم الإيطاليون اللطفاء، الذين أثروا فينا، وربما هناك أشياء أخرى مشتركة بيننا وبين الإيطالين، فإننا نعيش في دولة باقتصاد ناجح، وغذاء جيد، وبضائع عصرية، وأناس مبدعين، يتعاملون بحب وبقلق شديد، حول علاقاتهم الحميمة التي يعلنونها».

الفلبين، أيضًا، احتفلت في ٢٠٠٧ بذكرى مرور ٥٠ عامًا على علاقتها بـ(إسرائيل)، في مهرجان «الأعوام الذهبية للصداقة والاهتمام المبنية على قيم مشتركة» هذه العلاقات التي بدأت مبكرًا، منذ فتحت الفلبين أبوابها ليهرب إليها اليهود في فترة «المحارق النازية الأوروبية».

كم من أبواب أخرى تغلق، مثل تلك التي تعاند الأثيوبيين، الذين يريدون تحسين أوضاعهم، والذهاب إلى (إسرائيل)، لكنها تأبي، وتوقفهم على العتبات.

◆◆◆

(١) ضياء الحاجري، إسرائيل من الداخل، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢، ص١٦.

وقف هجرات أحنت ظهر (إسرائيل)

«الأثيوبيون يدمرون أنفسهم والمجتمع» هذا ما رآه أحد العمد وأرجع سببه إلى تخلي الوزارة عن دورها قائلاً: «أُرسل لي المهاجرين الأثيوبين، بدون إعداد لهذا التحول، الذي سيحدث لهم مع الهجرة، مما يدمر الاثنين؛ المدينة وتلك التجمعات. وأنا لن أسمح للأطفال الأثيوبيين بأن يصبحوا مجرمين، خلال سنوات قليلة، بعد أن يجدوا أنفسهم في الشارع، لعدم وجود أماكن لهم في المدارس. فكيف يمكننا أن نوفر لهم التعليم المناسب، وهم أساسًا في حاجة لتعلم اللغة، كما أنهم لايمثلون إلا ٨٪ فقط من الطلبة المتكدسين في كل فصل، والذي يصل عددهم، بزخم شديد، إلى ٤٠ طالب في الفصل الواحد» وهكذا فهو «جيتو تصنعه وزارة الهجرة لهم هنا». مسئول آخر كانت له الرؤية نفسها، والتي قال عنها: «بدلاً من أن تعطيهم الحكومة قروضًا ليتمكنوا من شراء شقق في مناطق جيدة، تسعى للبحث عن أحد لتحمله المسئولية، وتلومه، كما أنها لا توفر الخدمات المناسبة لهم».

أحد هؤلاء الطلاب، كاسا جيتو، الطالبة الأثيوبية في المرحلة الثانية عشر، والتي هاجرت من أثيوبيا مع أسرتها، عام ١٩٩١. وفي ٢٠٠٧ فازت كاسا بالجائزة الثالثة للمدارس الإسرائيلية الثانوية، عن روايتها «سَمْ بطلك». وفي حفل تسليم الجوائز، قالت: «العنصرية نفسها التي تفوح من الماضي، تصرخ فزعة في الحاضر...فبدون اسمي الأمهري [وهي لغة أثيوبية] وبدون لون جلدي، قد يعتقد الكثيرون، بأنني ولدت في إسرائيل. أنا التي ظللت لأعوام خائفة من النظر في المرآة، لأني متألمة من تقبل نفسي، كفتاة سوداء، خصوصًا وبوابات المدارس في إسرائيل في القرن الواحد والعشرين، تصفق أبوابها في وجه الأطفال الأثيوبين..فقد كنا العائلة الأثيوبية

الوحيدة في المقاطعة التي نقطنها مع جيران بيض...وبالتالي كنت الفتاة الأثيوبية الأولى بالمدرسة....الفتاة التي يرفض الجميع الجلوس إلى جوارها. كرهت نفسي، عندما لم يدعني أحد إلى حفل عيد ميلاده. جلست في حجرتي أبكي حقيقتي وهويتي، وكنت أقضي ساعات أطالع نفسي في المرآة، أبحث عن جانب مشرق في، ولم أجد سوى لون جلدي، وحلمي بأن أصبح بيضاء».

مجموعة أثيوبيين في طريقهم إلى إسرائيل

تجلب هذه الهجرات الأثيوبين في جماعات شهرية، يصل عددها إلى ٣٠٠ أثيوبي إلى (إسرائيل). وقد بدأ الأمر تاريخيًا، عندما أمر رئيس الوزراء؛ ميناحم بيجن، (الموساد) بفتح باب الهجرة لهم، عام ١٩٧٧، فبدأت الهجرة، سرًا، حتى أنه كان يُقبض على بعضهم، ويعيدوهم إلى مخيمات اللاجئين، ثم ما لبثت، منذ عام ١٩٨٤، أن أصبحت الهجرة أسهل، فاندفعت الآلاف من يهود الفلاشا الأثيوبيين للهجرة إلى (إسرائيل)، حتى عام ١٩٩١، وتبعهم يهود الفلاشا مورا(*).

يتحدون جميعًا في النهاية تحت شعار: « لقد أرقتم دمائنا»، الذي رفعه الأثيوبيون في مسيرة، في منتصف عام ٢٠٠٦، أمتدت من مركز المؤتمرات في القدس حتى مكتب رئيس الوزراء، بسبب المعاملة العنصرية التي يعانون منها.

(*) يهود الفلاشا مورا هم الأثيوبين الذين تحول أجدادهم إلى المسيحية، على يد المبشرين الأوروبيين في منتصف القرن التاسع عشر. وأعلن أحفادهم، الذين يسعون لدخول (إسرائيل) اليوم، أنهم ظلوا يهودًا، وأن التحول كان سببه ما واجهوه من اضطهاد.

وشارك في هذه المسيرة الكثير من الشباب، والأساتذة، والطلاب، ورجال الدين ليظهر خلال المسيرة رجال شرطة معتدين على المتظاهرين، وضاربين أحدهم في رأسه. يقول ميشيل ماهيرت أحد المتظاهرين: «يقولون إننا نمثل العنف، وفي الحقيقة هم الذين يمثلون العنف». ويقول أشار أيسه: «إننا نعاني من قصور كبير في خدمات الحكومة، بدءًا من وزارة الصحة، وصولاً إلى التعليم والرعاية. ومن أمثلة ذلك ما حدث لأغلب زملائي، الذين على الرغم من حملهم لشهادات عليا، فإنهم لا يزالون يعملون حراسًا للأمن، بسبب لون بشرتهم. وكل ذلك يشعرنا بالخزي». ويقول أوري كونفورتي، ممثل الوكالة اليهودية في أثيوبيا: «هناك ٩ آلاف أثيوبي، مؤهلون للذهاب إلى إسرائيل، يُتركون».

البديل الآخر أن يدخلوا (إسرائيل)، لتعلن وزارة الشئون الاجتماعية في منتصف ٢٠٠٧ أن ثلثي المهاجرين الأثيوبيين -وهم أكثر من ١٧ ألف أسرة لديها ٣١ ألف طفل- في أمس الحاجة لتوفير احتياجاتهم الاجتماعية، لأن ٧٥٪ من العائلات الأثيوبية فقيرة، والبرامج الاجتماعية الموجهه لهم يستفيد منها ٦٪ فقط من الأثيوبيين، ويرجع سبب ذلك إلى أن تلك البرامج غربية، لم يعتدها الأثيوبيون، كما أن الحكومة الإسرائيلية لا تملك آليات تنفيذها، نظرًا لأعدادهم الكبيرة ولأن العاملين عليها غير أثيوبين، مما يضعف التواصل، بالإضافة لذلك فالبرامج موجهه للمرأة والطفل فحسب.

ليكتمل الأمر، في أول ٢٠٠٧، بمناقشة الدولة لفكرة وقف الهجرات الأثيوبية إلى (إسرائيل)، بناء على عريضة وقع عليها رؤساء البلديات طالبوا فيها المجالس البلدية ورؤسائها بوقف هذا السيل، الذي لم تعد تحتمله ميزانية (إسرائيل).

يقول المفكر الإسرائيلي باري شميش عن الأثيوبيين: «إن مثل يهود أثيوبيا كمثل المستجير بالرمضاء من النار. لقد خرجوا من أفريقيا، كي لا يذهبوا ضحية للسياسة، ثم وصلوا إلى إسرائيل، فإذا بهم ضحية التنافس على المصالح، وأصبحوا

كرة تتقاذفها الأرجل، وتضربها الأيدي. إنهم محاصرون في وسط الحرب المندلعة بين المتدينين واللادينيين، وهم يدفعون الثمن، علاوة على ذلك. وبدلاً من منح هؤلاء الناس -الطيبين والحريصين على كرامتهم وعزتهم- قليلاً من اللطف، والمجاملة، بالحفاظ على تراثهم سليمًا من الأذى. نرى أن إسرائيل مصممة على تحطيم هويتهم، وخلق نموذج يهودي جديد، يهودي أفريقي، سيكون قادرًا على التكيف مع ظروف معيشية لا يوجد لها شبيه حتى في القرى الروسية، التي يعاني مهاجروها إلى إسرائيل من البطالة وضآلة الفرص»[1].

للروس معاناة مماثلة في (إسرائيل) يرويها ماكس إسرائيل -وهو اسم مستعار لصاحب القصة الحقيقية -الذي كتب في جريدة «يديعوت أحرونوت»، قائلاً: «تعلمت شيئًا واحدًا في طفولتي أن كلمة (الصبي اليهودي) اسم يُطلق على أسوأ أنواع البشر». فهمت ذلك، عندما كان رفاقي في المدرسة، يطاردونني في الطرقات، ويصرخون (إمسك يهودي)، أو عندما كان جيراني الأطفال يصرخون عليّ بالكلمة نفسها، ولأنه لدي اسم روسي في أخر اسمي، فكنت أحاول إنكار يهوديتي، إلى أن تركنا كل شيء، عام ١٩٩٠، وانتقلنا إلى إسرائيل.

«أذكر لحظات هبوطنا الأولى في إسرائيل، كنا نلبس ملابس جميلة، والجو دافئ. الآن يبدو كل ذلك حلمًا بعيدًا، أو لعبة غريبة. فلم نكن نتوقع الجنة، لكننا كنا نعتقد، أننا سنجد أشياء أساسية كألا نجد من يسبنا بأننا يهود. أحببت ركوب الدراجات في المناطق الواسعة، إلى جوار المنزل، وقابلت أطفال آخرين، ولعبنا الكرة، والاستغماية، إلى أن وجدت فتاة صغيرة وغريبة، تصرخ دون أن أفهم سبب

---

(١) باري شميش، سقوط إسرائيل، ط١، ترجمة محمد العابد، عمار جولاق، الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٣، ص٢٤٥.

obeikandi.com

صراخها، وكنت أظنها تمارس لعبة ما، لأنني لم أكن أفهم العبرية، وقتها، لكنني عرفت من ملامح وجهها أنها تعنيني بقولها: (روسي حقير)».

«في المدرسة كنت في المؤخرة، دائمًا ما يضربني الأولاد، ولا يسمحون لي بلعب الكرة معهم، وظلت أمنية وحيدة لي، هي أن أحصل على أصدقاء، وأن أشعر أنني مثلهم. فالناس ينادونني بـ (بالروسي النتن)، أكثر مما يستخدمون اسمي الحقيقي...أنا الذي لم أبدأ، أبدًا، بالشجار، بل كنت أتحاشاه، قدر الإمكان، لأنني لم أكن أود أن أخسر أي فرصة للحصول على أصدقاء. ومارست الرياضة، فأصبحت بطل الفصل في الجري القصير، وعليكم أن تتخيلوا معاناة صبي صغير يأمل ألا يكون وحيدًا، يريد أن يتحدث لإنسان لا يخبره أنه عليه أن يأخذ أمه الداعرة، ويعود إلى روسيا».

«وعندما أحببت فتاة، وأنا في الثانوية. وارتبطت بها، بدأ الناس يتصدون لنا، إلى أن جاء مرة ٣٠ شخصًا بعصيهم وحجارتهم، لدرء هذا اللامعقول، وهو أن يجرؤ روسي على حمل يد إسرائيلية بدون أن يعاقب».

جالية أخرى أعلنت عن اضطهادها، في منتصف ٢٠٠٧، وهم المهاجرون الألمان، حيث حذر زعيم الجالية الألمانية اليهودية أولمرت بأنهم سيطلبون تدخل الحكومة الألمانية لمساعدتهم في حال استمرار (إسرائيل) في منعها لتشجيع هجرتهم.

نوع مختلف من الاضطهاد ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» أنه

العملاء من اليمين إلى اليسار : رادا، زودي، مالايو، أنجداشت، هادراي، ميتيبونر

يقع على الأثيوبيين الذين لا يزالون في أثيوبيا، وهو تجاهل جهاز (الموساد) لهم، وعدم اعتراف الدولة بهم، رغم كونهم عملاء، يعملون لصالحه، منذ ثمانينيات القرن العشرين، الأمر الذي جعل هؤلاء اليهود الأثيوبيين يرفضونه، بشكل علني، في سبتمبر ٢٠٠٧ حين أعلنت مجموعة منهم إحتجاجهم. ويقول عن ذلك قائدهم، جابو رادا: «لم نكن، أبدًا، جزءًا من أجندة إسرائيل، فلم نحصل على ملاحظات رسمية، ولا أعطانا (الموساد) شارة عملاء الموساد، كما أنهم يصرّون على دعوتنا بالنشطاء المهاجرين. ودفع ٣٠ ألف شيكل فقط لنا جميعًا».

عملاء الموساد الأثيوبيون

من الأعمال التي قامت بها تلك المجموعة تهجير العديد من قاطني أثيوبيا والخرطوم، الأمر الذي دفع رادا إلى التعليق، قائلاً: «نجم عملنا في السودان عن إيماننا المطلق في دولة إسرائيل وفي الموساد. لم تكن لدينا هواتف، لم نحصل على تدريب، وخاطرنا بحياتنا يوميًا، آمنا بحماسة شديدة بما نفعل...واليوم عندما نفكر بما حدث ما كنا نجرؤ لنفعل ذلك، من جديد في شبابنا، فقد أُرسلنا إلى بلاد العدو، أثيوبيا والسودان، تُركنا لسنوات عديدة، وكل يوم في الظلام كنا ندفن أفراد جماعاتنا...كيف لا تسجل صفحات التاريخ كل ذلك؟!، أنه تراثنا، ولن نسمح للموساد بإهمال تاريخ اليهود الأثيوبين، فبعد كل ذلك نشعر كأنهم يكتبونه على

الثلج، خاصة وهم يوجهون اهتمامهم ورعايتهم للبعض المقرب من السلطة، بينما يتم تجاهل الآخرين». وفي نهاية المقال أعلن صحفي يديعوت أحرنوت أن الموساد رفض التعليق على هذا الموضوع.

أمام هذا الاضطهاد انشغلت الصحف الإسرائيلية بحماية حقوق الحيوان باحثة لهم عن مأوى وعمن يتبناهم، وأكدت أن للكلاب معجبين، كما يقول مدرب الكلاب المحترف، تمارا إيلباز: «إنه ممتع أن تكون كلبًا في تل أبيب، فالمدينة تضع في اعتبارها احتياجات الكلاب، وأصحابها، فتسمح للكلاب بالعيش وسطهم في الحياة العامة».

أبرز مناطق الكلاب ذكرتها صحيفة «جيروسالم بوست»، مثل منطقة جان مير، في قلب تل أبيب، حيث يصطحب أصحاب الكلاب كلابهم. تحاط تلك المناطق بأسوار، ويتركون الكلاب ليتعرفوا على كلاب أخرى، ويحصلوا على أصدقاء، أو يتيحوا لهم بذلك فرصة الحصول على منافسين، ليتعاركوا معهم، فتقوم الكلاب الأكثر شقاوة بإنهاك نفسها في اللعب، والقفز، بينما أصحابها يقرأون، ويدخنون، أو يدردشون.

رغم هذا الاهتمام يعلن المهتمون بحقوق الكلاب غضبهم، لأن ٢٥٪ فقط من الكلاب هي التي تجد أسرًا تحتضنها، وتهتم بها، بالإضافة لترك الكثيرين لكلابهم في الشارع، دون أن يسلموها، للمراكز المتخصصة. كما يرى المهتمون ضرورة أن ينظف أصحاب الكلاب وراء كلابهم، في حالة اصطحابهم في نزهة في مكان عام. كما تطرقوا لعدم وجود متبرعين للمنظمات المهتمة، أو عدم قدوم متطوعين، لتبني مئات الكلاب المنتظرة لمن يرعاها.

توجد مؤسسات لرعاية الكلاب، مثل أهافا AHAVA، وهي إحدى

obeikandl.com

مؤسسات رعاية الحيوان غير المستهدفة للربح، التي بنت أماكن لحماية مئات الكلاب والقطط في الشمال من البرد بدءًا من وقت اندلاع الحرب اللبنانية الأخيرة. وتتلقي تلك المؤسسة التبرعات من اللحوم، كما يتطوع البعض لإعداد الطعام، ومتابعة الحيوانات، وأعلنت أهافا عن حاجتها لتبرعات عينية من البطاطين، والألعاب للكلاب، أو للمساعدة لبناء مأوى للحيوانات. وأعلنت عن استعدادها لإقامة مهرجان لنزلائها من الكلاب!

تم تتويج مجهود حماة حقوق الحيوان، في مارس ٢٠٠٧، بإنشاء الشرطة وحدة جديدة لحماية وإنقاذ الحيوان أسمتها «دورية الحيوان».

على الجانب الآخر تركت الصحف الإسرائيلية قضايا الجاليات المختلفة في (إسرائيل)، واهتمت بالسودانين في مصر، مدعية أنهم يرغبون في الهرب من مصر إلى إسرائيل، كما زعم الصحفي الإسرائيلي تمار دريسير في مقالته في «يديعوت أحرونوت»، واصفًا رحلته، التي قام بها خلال يوليو/ تموز ٢٠٠٧، متوجهًا إلى السودانين، حيث زعم أن أحد المواطنين السودانيين، توني ماو تيوبليس، ٢٩عامًا، قال له: «العيش في إسرائيل حلم المواطنين السودانين».

ذكر الصحفي أن القوات المصرية ألقت القبض على تيوبليس، أكثر من مرة، خلال محاولات تسلله إلى (إسرائيل). وأرجع سبب محاولاته إلى أنه «في مصر يعاملوننا بشكل فظيع، ونحن بحاجة شديدة إلى الحماية، ومكان نعيش به، ونحصل على رزقنا منه لأجل دعم

الصورة المصاحبة للمقال

obeikandl.com

عائلاتنا التي تركناهم خلفنا». أضاف توني أن هناك العديد الذين ينتظرون لحظة عبور الحدود، لأنه كما سمع «في إسرائيل يمكن بسهولة إيجاد عمل». ويلجأ بالتالي بعضهم إلى المهربين، الذين يحملوهم ويتركوهم قرب رفح، ليعبروا، وحدهم، فإذا ما تم كشفهم يكون المُهِّرب قد نجا بنفسه.

أليزا أولمرت

وأعلنت زوجة أولمرت؛ أليزا أولمرت، عن تعاطفها معهم ورغبتها في عبورهم للحدود، وذلك في مقالتها التي كتبتها في جريدة «يديعوت أحرونوت»، لتصف لهم طريقة العبور إلى إسرائل، ليصلوا إلى ما أسمته (أرض السلام)، وكيف أنهم يجب ألا يهتموا بطلقات المصرين عليهم، حينما يعبرون الحدود، لأنهم سيجدون الجنود الإسرائيليين، الذين سيحملون عنهم أبناءهم ويعطونهم جرعة ماء!.

نجم عن كل ذلك الكلام المتعاطف مع السوادنين، مجرد وصول فوج، في منتصف ٢٠٠٧، حوى ٤٠٠ سوداني، فقط، أقاموا في كيبوتز إيلوت!

لم تكن هذه هي القصة الوحيدة التي تبنتها زوجة رئيس الوزراء الأسبق، التي تعمل على تدعيم الكيان الصهيوني، فقد قامت بتسجيل الشعارات، والصور المكتوبة على جدران الشوارع، التي تسب الإسرائيليين، من خلال الصور التي التقطتها، على مدار ٣٠سنة بنفسها، وجمعتها في كتابها «لغة الحائط»، الذي أصدرته ٢٠٠٧، مع الروائي جايل هاريفين، الذي علق على الصور.

لفتت نظرها في البداية الجمل المكتوبة على الجدران، مثل جملة «يحيا شعب إسرائيل» التي تُكتب داخل نجمة داود، ثم لاحظت أن أحد الأشخاص يقوم بعد

ذلك، بإضافة كلمتين على تلك الجملة، ليتحول معناها إلى «شعب إسرائيل حيوانات»، فكان هذا دافعها لتأليف الكتاب.

تجربة دانا أولمرت تلك تشير إلى وجود موقف إسرائيلي مَّا من العرب الفلسطينيين، وهو الموقف الجدير بالدراسة.

◆◆◆

obeikandl.com

العرب

غالب

إثر فضيحة حاييم رامون الجنسية، ونظر المحكمة فيها(*) قرر أولمرت إجراء تغيير وزاري. وبعد صدور الحكم بإدانة رامون قرر إجراء تعديل وزاري جزئي، ليعطي فرصة لأول وزير عربي مسلم في الوزراة الإسرائيلية، وهو غالب مجادلة Ghaleb Majadele، عضو الكنيست عن حزب العمل، ليصبح وزير العلوم والتكنولوجيا.

رغم ما تبدو عليه التجربة من محاولة ديمقراطية، إلا أن الحقيقة يتهامس بها أغلب الإسرائيليين، والتي ترى أن هذا التعيين لم يأت إلا في ضوء محاولة عامير بيريز، رئيس حزب العمل، آنذاك، استغلال الوزير العربي لكسب أصوات العرب الانتخابية، لذا عيّنه، بدلاً من الوزير عوفير بنس Ophir Pines، الذي قدم استقالته إحتجاجًا على التحاق أفيجادور ليبرمان، المعادي للعرب، بالحكومة.

عن ذلك كتب الصحفي آبي ركوبتي في جريدة «يديعوت أحرونوت»، متسائلاً: «لو كان حزب العمل مهتمًا بوجود وزير عربي ممثل له في الحكومة، فلماذا لم يعينوا وزير عربي لهم من قبل؟!. كما أن هذا لا يدعم ديمقراطية إسرائيل، لأن الوزير العربي دخل الوزارة باعتباره ممثلاً لحزب العمل الإسرائيلي، وليس لحزب عربي».

يُذكر أن هذا الوزير العربي -الذي تعود أصوله إلى باقة الغربية، شرق حيدرا-

(*) نذكر فضيحة حاييم رامون بالتفصيل في الباب الثاني؛ «جرائم وقضيا فساد»، فصل «الفضائح الرئاسية»، «رامون والقبلة التي أفقدته حياته السياسية».

التحق بالعمل العام، منذ فترة طويلة، فكان سكرتيرًا في باقة الغربية، وسكرتيرًا لمجلس حزب العمل المحلي، وأُنتخب، مرتين، كمدير للجنة التعليم لحزب العمل، وأصبح عضوًا في الكنيست، عام ٢٠٠٤، في لجنة البيئة والمجتمع، كما ترأس لجنة الكنيست للشئون الداخلية والبيئة، إلى أن عُرضت عليه الوزارة، وفكر كثيرًا قبل قبولها، لأنه -كما يقول- كان يعرف أن التاريخ سيسجل جيدًا أنه لم يعين إلا بناء على استقالة وزير آخر، ثم اتخذ قراره بالموافقة، ليتم إعلانه كأول وزير عربي، يوم الخميس الموافق١١/ ١/ ٢٠٠٧، بموافقة الأغلبية، وبرافض وحيد لذلك وهو الوزير أفيجادور ليبرمان، وزير الشئون الإستراتيجية، الذي برر رفضه بأن ذلك يخدم مصالح شيمون بيريز، خلال انتخابات حزب العمل، «وأنا ليس لدي أي مشكلة مع الوزير العربي، لكن ليس لدي ما يدفعني لدعمه، لأنه هو نفسه صوت ضد إسرائيل».

انتقد البعض غالب، بأنه لم يتخرج من مدرسة عليا، ورغم ذلك أصبح وزيرًا للعلوم والتكنولوجيا، أي إنه ليس لديه التأهيل العلمي لذلك. وأيّد ذلك رأي نسبته صحيفة «يديعوت أحرونوت» إلى دكتور فاروق موساسي، كاتب وأديب ومحاضر عربي في جامعة القسامي في باقة الغربية، قائلاً: «أنا أعرفه، لأنني كنت مدرسه، إذ كان يحصل على درجات منخفضة، لكن ذلك لا يدهشني، فأغلب الوزراء ليست لديهم حتى المهارات الأساسية لعملهم، وإن كنت أتوقع منه أن يدافع عن حقوق العرب، من خلال وزارته، وأنه لن يمنع نفسه عن أخذ موقف من كل ما يراه ضد العدالة، وأكبر دليل على ذلك موقفه من كتساف، خلال التحقيقات، حيث كان يؤيد بقائه في مكتبه، وفي الرئاسة، على الرغم من القضية المتورط فيها، لأنه يصدقه، ولأنه يؤمن أن المتهم بريء إلى أن تثبت إدانته».

أما مستشار غالب، وهو السياسي سالم شارقية، البالغ من العمر ثلاثة وعشرين عامًا، والمشارك القديم في الأعمال العامة والسياسية، حيث كان أول رئيس اتحاد طلاب عربي في جامعة ديفيد يلين بالقدس، وكانت النتيجة أن علق أحدهم على بابه جملة واحدة:

«نحن لا نريد العرب». ويؤمن سالم كثيرًا بقدرات الوزير العربي، ويعلن: «غالب سيبهركم».

ليعلق عرب ٤٨ أملاً على غالب لعله يمكنهم من حقوقهم. مثل ما ذكره محمود أنبوسي، أحد عرب ٤٨، (٢٥ عامًا)، ومهندس ميكانيكي، تخرج من إحدى الجامعات الإسرائيلة، وخلال تعلمه لم يكن يُسمح له بالدهاب مع الطلبة في رحلات تعليمية، لحساسية وضعه، مثل الذهاب إلى شركات صناعة الطيارات الإسرائيلية، وشركات الكهرباء الكبرى التي لا يُسمح إلا للطلبة اليهود بدخولها. ومنذ تخرج، لم يجد عملاً في مجاله، ليقول: «عرب إسرائيل ليس أمامهم إلا أحد حلين؛ يمكن أن يجلسوا على الأرصفة، ويقولون: «لا» لكل شيء، أو يعملوا على تحويل حقوقهم الأساسية كمواطنين إلى أرض الواقع، وأنا أؤيد بذلك الوزير العربي الذي يجب أن يعمل من أجلنا حتى يغير الموقف».

يبقى السؤال: هل استطاعت (إسرائيل) بذلك تحقيق المساواة للعرب، خاصة وأنها، قبل انقضاء شهر على تعيينها للوزير العربي، قامت بانتهاك المسجد الأقصى، يوم الجمعة الموافق ٩/ ٢/ ٢٠٠٧. وهاجمت المصلين، في الوقت نفسه الذي كانت القمة منعقدة بين «فتح» و«حماس»، في المملكة العربية السعودية، للسعي للصلح بينهما؟!.

الانتهاكات الإسرائيلية عند المسجد الأقصى

حيال هذه التصرفات غير المبررة، يخرج الكيان الصهيوني بتصريحات، ليحسم الأمر لصالحه، ومن أكبر الأمثلة على هذا، طريقة المعالجة الصحفية التي قامت بها جريدة «يديعوت أحرونوت» لتلك الواقعة، حيث كتبت: «نشرت الشرطة ٣ آلاف ضابط في القدس وحولها لخوفها من حدوث اضطرابات على جبل الهيكل، وذلك في ظل استمرارها في التنقيب عند بوابة المغاربة في ساحة المسجد الأقصى عن الهيكل وبقايا التاريخ اليهودي.

وتوقعت الشرطة تكرارًا لما قام به شابان فلسطينيان، قبلها بأيام، حيث هاجما الضباط في مواقع الحفر، وعلى الرغم من عدم حدوث إصابات، فإن الخوف تزايد، مع إعلان الحركات الإسلامية عن إصرارها على تحدى إجراءات الحفر الإسرائيلية، لذا أعددنا لإحاطة المكان بالأمن، والسماح للرجال فوق الخمسين بالدخول للمسجد، والصلاة، عن طريق التأكد من بطاقاتهم، أما للنساء فللاتي فوق الأربعين فحسب»!

أضافت الصحيفة: «أنه رغم ذلك اضطر الجنود الإسرائيليون تطويقهم في المسجد، عندما بدأوا بأعمال الشغب والضرب بالحجارة، مما أصاب المدنيين ورجال

الشرطة، فأستخدم رجال الشرطة القنابل اليدوية لتفريق تلك اجماعات. وزعمت الصحيفة أن القوات الإسرائيلية ألقت القبض على ٣ آلاف فلسطيني، بعد مهاجمتهم لرجال الشرطة، بدخولهم لمواقع الحفر في الهيكل».

لتعلن تركيا قلقها من تلك الحفائر إلى أولمرت أثناء زيارته، واقترحت عمل تفتيش تركي، فرحب أولمرت به، قائلاً:

«ليس لدينا شيء لنخفيه، لكن الحفائر نفسها خارج المسجد، وليست ذات خطورة، لا على مقدسات المسلمين ولا المسيحيين». وبالفعل، ذهبت بعثة تركية إلى هناك، بتاريخ ٢١/ ٣/ ٢٠٠٧. لتدَّعي (إسرائيل)، في أكتوبر ٢٠٠٧، عثورها على بقايا الهيكل الأول في تلك الحفائر التي قامت بها.

إلى جوار ذلك تستمر (إسرائيل) في الادعاء بخطورة التواجد الفلسطيني عند المسجد الأقصى (أو كما يسمونه الهيكل)، مثل ما قاله يزي لانداو، وزير الأمن الداخلي السابق والباحث في معهد مكافحة الإرهاب الدولي: «أن الهجمات الفلسطينية عند الهيكل ليست جديدة. وهذا طبيعي، فكل جمعة، خلال وقت صلاتهم يتشرب العرب جرعة كراهية ضد الإسرائيليين. وفي ٦/ ١٠/ ٢٠٠٠ حدث تصادم مماثل، وقرر إيهود باراك إخلاء جبل الهيكل من الشرطة الإسرائيلية، مما دفع الفلسطينيين لحرمان اليهود من زيارة المكان.

أما في مارس ٢٠٠١، أثناء الإنتفاضة، فكانت هناك تنقيبات أثرية عن التاريخ اليهودي. وتمنى عرفات أن يظل الشعب يُلقي بحجارته على اليهود، بمن فيهم المصلين منهم، لينهي بذلك الصراع العربي-الإسرائيلي لصالحه، فلم يكن أمامنا إلا تحجيم سلطة الفلسطينيين وكل أفرعهم لسرطانية، وإغلاق مكاتب إدارة جامعة القدس، إلى أن وقَّع عرفات على وعد لإنهاء تبني الإرهاب، وبدأت الشرطة تتردد

obeikandl.com

على جبل الهيكل، لكي تمهد الطريق للزيارات المحددة لليهود.»

ولخوف الإسرائيليين من العمليات الاستشهادية الفلسطينية، كان طبيعي أن يثبت استقصاء معهد المسوح الديموغرافية، في ٢٠٠٧، كراهية نسبة كبيرة من الإسرائيليين للعرب، حيث يؤمن أكثر من ٥٦٪ أن (العرب الإسرائيليين) خطر على أمن وديموغرافية (إسرائيل). ورفض ٧٥٪ منهم السكن في عمارة يسكنها عرب، ورأى ٧٪ آخرون ضرورة عدم السماح لأي عربي بزيارتهم في بيتهم. واعتبر أكثر من ٣٧٪ الثقافة العربية ثقافة قليلة الشأن.

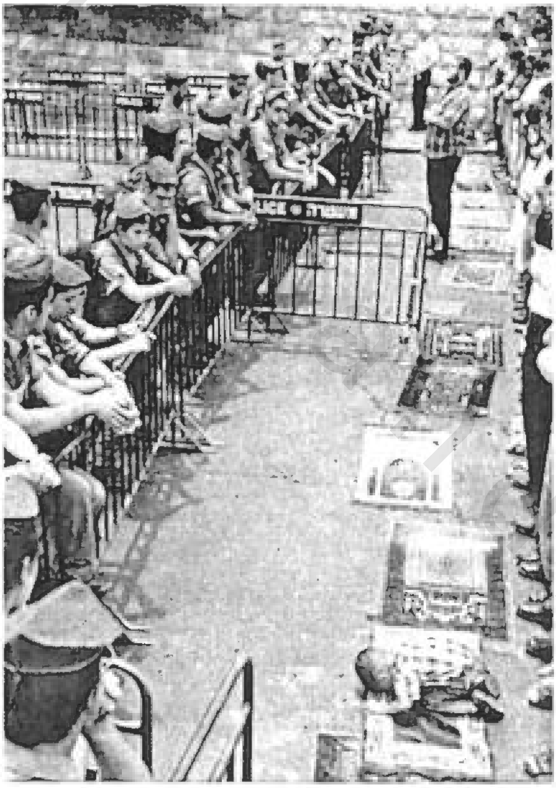

أضافت «يديعوت»: «أن ثمة دراسة مماثلة، منذ عامين، لكنها لم تكن بهذه العنصرية الشديدة ضد العرب، مما يعني أن التمييز ضد العرب في تزايد مطرد. ومن النتائج العنصرية تصويت أكثر من ٥٠٪ لصالح فكرة تهجير (إسرائيل) للعرب من (الدولة). وكان من بين الأسئلة الأخرى المطروحة عن إحساسهم عندما يستمعون لشخص يتحدث بالعربية. فقال ٣١٪ إنهم يشعرون بالكراهية. فيما رأى ٥٠٪ أنهم يشعرون بالخوف».

وفي مقابل ذلك تقوم (إسرائيل) بعدة إجراءات قد تُعتبر امتهانًا للكرامة، كما يقول الكاتب الأمريكي لورانس ماير:

«من الواضح أن التدابير الوقائية لا تبعث على الإرتياح، في نظر العرب، عند الإقتراب من القدس، عبر الطريق السريع، فغالبًا ما يرى المرء طوابير طويلة من السيارات العربية عند جانب الطريق، بينما يتم السماح للسيارات اليهودية بمواصلة سيرها، بدون توقف، وفي بعض الأحيان يتم تأخير العرب الذاهبين إلى القدس، حوالي خمس وأربعين دقيقة أو أكثر، وهذا يعتمد على مدى لازدحام حركة مرور السيارات، بينما تقوم قوات الأمن بتفتيش سياراتهم».

«يواجه العرب الإسرائيليون الذبن يسافرون إلى الخارج، عن طريق شركة (العال)، الموقف نفسه تقريبًا. ووصفت امرأة مسافرة إلى الخارج من إسرائيل، كيف أن مسئولي الأمن في شركة (العال) طلبوا من عائلة عربية إسرائيلية أن تفتح حقائبها، حتى يتم تفتيش محتوياتها، قبل تحميلها على متن الطائرة».

وقالت المرأة: «يمكنك التأكد من أن العملية كلها عبارة عن إحراج كبير لكل عائلة عربية. ومع أن الهدف من هذه التدابير الأمنية هو توفير الحماية للجميع، فقلما يعدل هذا الهدف عنصر الإهانة في التجربة»[١].

ولم يخل الأمر من ضجة أُثيرت بسبب وجود موظف عربي واحد في بنك إسرائيلي، كما كتبت صحيفة «يديعوت أحرونوت»، وذلك على الرغم من وعد البنك بتحاشي العنصرية، وفتح أبوابه للعرب الموجودين في (إسرائيل). وكان ذلك الوعد منذ عامين، لكنه لم يتحقق، كما قيل.

(١) ماير، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٢.

إجراءات أمنية مع العرب!

ليظهر الرئيس شيمون بيرير -الذي تولى الرئاسة في منتصف ٢٠٠٧- معلنًا في عيد أضحى سبتمبر ٢٠٠٧ إعتذاره عن مذبحة كفر قاسم ١٩٥٦ التي قتل فيها حرس الحدود الإسرائيليون الكثير من (عرب إسرائيل)(*)؛ أطفالاً ونساءً، القاطنين بقرية كفر قاسم. وقال بيريز لمواطني القرية: «حدث فظيع حدث هنا في الماضي، ونحن آسفون جدًا عليه. فنحن جميعًا أبناء رب واحد..رب لم يعطينا رخصة لقتل وإضطهاد وقمع الآخرون».

وزيرة التعليم يولي تامير

حدثت تلك المذبحة في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، حين تسلم ثلاثة من حرس الحدود الإسرائيليين أمر بإطلاق النار على أي شخص لا يلتزم بقرار منع التجوال ويتواجد بالشارع، فقتلوا ما يزيد على الخمسين فردًا كانوا في طريقهم إلى منازلهم عائدون من أعمالهم وكان بينهم نساء وأطفال. ويذكر أنه في أكتوبر ٢٠٠٦ أمرت وزيرة التعليم؛ يولي تامير، ببناء مدرسة بكفر قاسم بمناسبة مرور ٥٠ عامًا على تلك المذبحة.

(*) المقصود بـ(العرب الإسرائيليين)، عرب ٤٨، وهم الفلسطينيون الذين حصلوا على الجنسية الإسرائيلية، نظرًا لإقامتهم داخل الحدود التي أعلنتها إ(سرائيل)، كحدود لها.

حقوق أخرى مهدرة في (إسرائيل)، أصحابها يحاربون ليتم الاعتراف بهم، منتظرين النهاية التي قد تعلن نجاحهم، أو تتركهم معلقين.

◆◆◆

obeikandl.com

مواطن بلا مواطنة

التحول إلى اليهودية قد يكون أملاً للبعض الذين يسعون للحصول على حق المواطنة الإسرائيلية، وهو المشروط باتباع اليهودية، وعن ذلك يقول بامبي شيلغ رئيس تحرير مجلة «إيرتس أحيرت»(*): «أكثر من مليون قادم جديد ممن وصلوا إلى إسرائيل في السنوات الأخيرة، ومن بينهم أكثر من ٣٠٠ ألف شخص من غير اليهود أثاروا جدلاً يكاد يبلغ عمره عمر (الدولة) حول الجهة المخولة بالتهويد، أي (إدخال غير اليهودي إلى الديانة اليهودية)، وحول ماهية التهويد، وهل من المفضل ومن الضروري أصلاً اقتراح التّهوّد (اعتناق الدين اليهودي) على القادمين الجدد من خلال أعضاء الحاخامية الكبرى، وهي المؤسسة المسئولة عن مجال التهويد من قِبَل المجتمع الإسرائيلي؟».

«ووَضع نظام المحاكم الدينية التقليدي كمًا هائلاً من العوائق أمام هؤلاء الذين يطلبون اعتناق الدين اليهودي، إلى درجة أنه قد تم وقف عملية التهويد بشكل تام تقريبًا، فنشأ بسبب ذلك محاكم خاصة للتهويد إلا أن هذا النظام الجديد من المحاكم الخاصة، المتعاطف بشكل مبدئي مع المتهوّدين، يستمر هو أيضًا في وضع العراقيل أمامهم والمتجسدة بطلبات متنوعة، مثل الإلتزام التام بتطبيق الوصايا العشر، نقل أولاد المتهوّدين إلى جهاز التربية الدينية، والتشديد على تصرفات الأزواج/ الزوجات اليهود للأشخاص الذين يطلبون اعتناق الدين اليهودي،

(*) «إيرتس أحيرت» مجلة إسرائيلية تصدر مرة كل شهرين منذ أكتوبر ٢٠٠٠، وتتألف هيئة تحريرها من إسرائيليين يطرحون حوار معمق حول القضايا والمعضلات الهامة التي تواجههم، وهي مجلة مدعومة من صندوق أبي حاي.

وغيرها. السؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا هو، لماذا لا يطبق الإسرائيليون الوصايا بشكل تام في وقت يُطلب فيه من المتهوّدين بالذات تطبيقها!»[1].

رحيل

ومن أمثلة المتحولات لليهودية رحيل ديل كونت، المولودة في إيطاليا، التي روت قصتها صحيفة «هاآرتز»، بدءًا من تحولها لليهودية في ٢٠٠٦، وإعتراف الحاخامات بكونها يهودية ووصولاً إلى رفض (إسرائيل) الإعتراف بها وإعطائها الجنسية الإسرائيلية بحجة أنها لم تقابل مندوبًا من الوزارة عند تحولها لليهودية في إيطاليا وبقت عامًا كاملاً في الخارج.

توتو بين صديقيه

ولتوتو تاموز Toto Tamuz قصة أخرى، وهو لاعب كرة القدم الإسرائيلي، الذي تعلم في مدارس إسرائيلية، ولعب في فريق الأطفال والشباب الإسرائيلي، وتحدث العبرية بطلاقة، كما أنه رفض فرصًا في فرق أوروبية، من أجل البقاء، ورغم ذلك اكتشف، في النهاية، إنه بلا وطن، وأنه لا يصلح ليكون مواطنًا إسرائيليًا.

روت صحيفة «يديعوت أحرونوت» قصته بدءًا من وصوله إلى (إسرائيل) عندما كان في الثانية من عمره، مع أبويه النيجيريين. وبرحيل أبويه، بقي مع إحدى الإسرائيليات، التي تبنته، وأحبته كثيرًا، ليحصل في ٢٠٠٥، بعد معركة طويلة، على

(١) بامبي شيلغ، **<http://www.albyan.net/acheret/issues/issue17.htm>**، ١٠/١/٢٠٠٨.

مجرد منحة بإقامة مؤقتة في (إسرائيل)، وعندما انتهت، تم تجديدها، حتى ٢٠٠٩، لكنه الآن يرفض البقاء، إلا كمواطن، لأنه يشعر بأنه جزء من (إسرائيل).

يقول توتو، البالغ من العمر ٢٠ عامًا:

«عندما كنت في الثالثة عشر من عمري، رأيت، في طريقي إلى المدرسة، شرطة الهجرة تضرب عاملين أجنبيين، وخفت، لأنه ليس لديَّ الإذن الكامل للبقاء في إسرائيل، لكنني قلت إنهم لو أمسكوني سأحادثهم بالعبرية، التي أتقنها جيدًا، بعكس هؤلاء العاملين، الذين لا يعرفونها!»

في المقابل صرَّح المتحدث الرسمي باسم وزارة الداخلية، أن الوزير يبذل كل ما في طاقته، من خلال ما يتيحه القانون، لأجل توتو وعندما يواجه أي مشكلة تقنية تعيقه من اللعب في فريق (إسرائيل القومي) في المباريات الدولية، يتدخل الوزير للمساعدة، ويحل الأمر. أضاف المتحدث بأن الأمر لم يعرض عليهم لإعطائه الجنسية، إلا وهو في العاشرة من عمره، أي أنه منذ جاء في الثانية من عمره وحتى العاشرة كان يعيش بشكل غير شرعي.

وأخيرًا في يونيو ٢٠٠٦ وافق وزير الداخلية؛ روني بار، على إعطائه الجنسية الكاملة التي قال عنها تاموز: «هذه أسعد لحظة في حياتي أنتظرتها لسنوات عديدة، فأخيرًا أصبحت كالعديد من الأطفال الذين تربوا في إسرائيل».

توتو تاموز مثال لكثير من المتواجدين في (إسرائيل)، الذين لا يُمنحون فرصة الإنتماء لها، على الرغم من رغبتهم في ذلك. وقد كتب عنهم الروائي الإسرائيلي أ.ب يهشوع، روايته الأخيرة «امرأة في القدس»(*). وكم من أمثلة أخرى لمواطنين في تلك الأرض بلا وطن!

(*) سنسرد لتلك الرواية في الباب الأول؛ «المجتمع من الداخل»، فصل «الحياة الثقافية».

كل هؤلاء الأفراد يعيشون في تجمع واحد، حافل بالاحتكاكات اليومية، والتصرفات والمواقف. ليصبح كل ما يقومون به مرآه عاكسة لحدود آدميتهم، وإنسانيتهم، وسماتهم الداخلية.

◆◆◆

obeikandl.com